

المشكلات

٢- اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقتا في تعليمها ؟ - كيف نعلمها ؟

بيننا في مقالنا السابق جهود رجال العلم والتربية في سبيل إصلاح تعليم اللغة العربية ، تلك الجهود التي إن أخطأها التوفيق فلن يخطئها أن تكون حقيقفة بالشكر وعرفان الجليل إن هذه الجهود المختلفة دليل على عنايتهم باللغة العربية ، وحرصهم عليها ، ومعرفتهم بقدرها ، ودليل على أنهم يحبون شباب هذه الأمة ، ويودون أن يسهلوا عليهم ما صعب ، ويقربوا إليهم ما بعد ، وأن يسهروا ليناوما ، وأن ينصبوا لهم ليجدوا السعادة والراحة

وهذا وحده جهد مشكور ، وصنيع غير مكفور ، جدير بالإجلال والتعظيم ، سواء أوقفوا فيما حاولوا أم لم يوقفوا .

ورب قائل يقول : لقد وضعت أن الماهد في مصر أخفقت في تعليم اللغة العربية ، وأخذتها مقدمة مسلمة ، وكانت بحاجة إلى أن تقيم عليها الدليل ، فلعلها لم تحف في تعليم اللغة ، ولعلها نجحت أعظم النجاح ، ولعل ما هو مشهور بين رجال التعليم من أنها

أن يضحكوا على جدودهم هازئين مستسخرين ، وأحسبهم لن يفعلوا غير ذلك إذا لم تصلهم عنا غير هذه الأفلام الخزية التي ألفها لنا ولهم أنصاف المتأدبين منا وأرباعهم ومن لا تصلهم بالفنون الأدبية صلة ما ... أما علاقة السينما بالنهضة التمثيلية فلا يجدها أحد ... وأقسم لو أن لنا ثقافة مسرحية غير عليها روح طويل من الزمن ، وأقسم لو أن لنا مسرحاً مصرياً محترماً يضارع في رقيه المسارح الأوربية أو المسرح الأمريكي ، لكانت لنا نهضة سينمائية عالية كافية لأن تلفظ من ذاتها موضوعات تلك الأفلام المصرية التي أخرجت إلى الآن في غفلة من تأخرنا في هذا الميدان

ولا يفوتني قبل أن أختم هذه الكلمة في العلاقة بين الأدب والسينما أن أتوه بتاريخنا المليء الحافل بالأحداث الجسام ، فقد

أخفقت في هذه المهمة - من القضايا التي اشتهرت لغرض من الأغراض ، فإذا تقدمت تبين خطأها . فلنسا نسايرك حتى تقيم الدليل على هذا الإخفاق

وأقول إنى أوافق هذا القائل أنه لا بد من أن يقام الدليل على هذه المقدمة ، ولا يصح أن تترك دون بيان

إن المرء يكون قد أتقن لغة ما إذا كان يتكلم ويقرأ ويكتب بهذه اللغة ، جارياً على قواعدها ، مراعيًا قوانينها ، لا يلحن فيها ولا يخطئ ، وأن المدرسة تكون قد نجحت في تعليم اللغة إذا كان الذين تخرجوا فيها جميعهم أو أكثرهم على هذه الصفة ، فهل من تخرجوا في مدارسنا كذلك ؟

أما الكلام باللغة العربية فلا تكاد تجد أحداً يتكلم بها ، فالشعب كله يصطنع في التفاهم والقضايا اللغوية العامة ، وليس من الناس من يصطنع اللغة العربية إلا في الندرة وعلى سبيل الشذوذ ، حتى أن دروس اللغة العربية تاتي بالعامة ، فقد دخلت العامية على العربية حجرات دروسها ، وغزتها في معانيها ، وأخص الأماكن بها

ومن المضحك حقاً أن تجد مدرس النحو أو الصرف أو البلاغة أو مفسر النصوص العربية من شعر ونثر يلقي دروسه وقواعده بلغة عامية ، لا يراعي ما يقول من قوانين ، ولا يقوم لسانه بما يسرد من قواعد

آن لنا أن نخرجه مصوراً ناطقاً تشهدده الجماهير فيثير فيها الكبرياء الوطني ، وتطلع منه على ما لم تكن تعلم من مشاهد البطولة الوطنية وأجداد المصور الخوالي ، وما عمل الآباء والأجداد في سبيل مصر الخالدة من صنائع العزة وفعال العظمة ... نحن إن صنعنا ذلك خلقنا عملاً أدبياً جليلاً لجميع كتابنا وأدينا لتاريخنا خدمة تخلد على وجه الزمان ، ثم يسرنا لناشئتنا استذكار هذا التاريخ الطويل الذي زهقهم بمذاكرته في بطون الكتب مع ما في هذه المذاكرة الصامتة الثقافية البليدة من مناقاة لروح التربية الحققة ، وما تنتهي إليه من قلة الفناء ... بمكس مشاهدة التاريخ المصور الناطق السينمائي الذي يلصق بالذاكرة ، ويخلد فيها ، وينمي في الطالب تلك الملكات التي يفتقر إليها معظم الطلبة المصريين .

دريسي فحيتة

وإنما كانوا يخشونه، ويشفقون منه، لأن ذلك يؤدي إلى إطالة أمد جهل الأمة وتأخرها، لأن العلم والأدب قد كتبوا بلغة لا يفهمها جمهور الشعب، وهي العربية، فلا سبيل إلى وصوله إليها

أما إذا نجحت المدرسة في تعليم العربية، وتكلم بها المتعلمون وهم مخالطون للشعب، فلي صرور الزمن يسهل عليه فهم اللغة العربية ويتسرب إليه كثير من مفرداتها وتراكيبها، وربما علمها فصارت لغة الخطاب، لغة الكتاب، وهذا كسب ليس بالقليل، فكل ما كتب من علوم وأخلاق وآداب يكون حينئذ في متناول جمهور الشعب، فيرقى إلى النوروة التي يشدها له المصلحون

وهناك طائفة من رجال الاجتماع ترى أنه إذا خابت المدرسة في تعليم العربية، وخابت الأمة في اصطناعها ورفع لغة الحديث إلى اللغة التي تكتب بها العلوم والآداب، فلا مناص من كتابة العلوم والآداب باللغة التي تفهمها الأمة، لتنتفع بها، ولتبلغ الأمل المنشود، لأنه خير للأمة أن تخسر اللغة العربية وتكسب العلم الذي به نماء عقولها، والآداب التي بها تقويم أخلاقها، من أن تريح العربية وتخسر العلم والأدب

فأنتم ترون أن الأمر جد خطير، وأنه يعني حياة اللغة العربية أو موتها، ونجاح المتعلمين في تعلمها أو إخفاقهم، ورقى الأمة أو انحطاطها

لذلك يجب أن نعمل جاهدين، وأن نجهد مخلصين، حتى نعرف الأسباب في هذا الإخفاق، وأن نفعل الممكن وغير الممكن لنجعل تعليمها ناجحاً، وانحجب درسها إلى التلاميذ، وبذلك نتقي هذه النتائج السيئة، ونوفر على الشباب وقته وجهوده ونحمي اللغة العربية من الضياع والموت

هذا ما دعا رجال العلم إلى معالجة هذه المشكلة

وهذا ما دعاني أيضاً إلى أن أتق بدلوى في الدلا، وسأعرض بحسبى على القارئ، أو أولى الأمر في مصر، ولعل هذه الدعوة تلقى ما أقدره لها من توفيق - إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيق إلا بالله .

محمد هرف

عضو جماعة كبار العلماء

فأما الكتابة والقراءة بها، فلا يقرأ باللغة الفصحى ولا يكتب إلا لغة قليلة، تمكنت من حفظ لسانها من الخطأ عند القراءة والكتابة، وجمهرة المتعلمين لم يصلوا إلى هذه المنزلة، فالشباب يتخرج في المدرسة، أو في المعهد، ولسانه لا يكاد يقيم جملة، أو يعرب كلاماً، ولا يستطيع أن يعبر عن خلجات نفسه بأسلوب صحيح مستقيم

وإذا لم يكن هذا إخفاقاً، فإذا يكون الإخفاق؟

وكما لم توفق مدارسنا في الغاية لم توفق في الوسيلة، أو قل أنها لم توفق في الغاية لأنها لم توفق في الوسيلة؛ فالوسيلة إلى تعلم اللغة هي دروسها، ولما تستطع مدارسنا أن تحجبها إلى التلاميذ، فهم يأتون إليها متخالطين، ويستمعون إليها كارهين، وهم يبعضونها بفضاً يملأ ما بين جرائحهم. فالدحو عندهم ثقيل بنيض، وكذلك الصرف، وعلم البيان الذي قال فيه بعض العلماء - أنه لا ثواب في تعلمه - يشير إلى أنه لا مشقة فيه على المتعلم، وهو يطلب لما فيه من لذة، فجزاؤه فيه، قد بغضته إليهم هذه المدارس أيضاً؛ وليس العيب في ذلك على الشباب، لأنهم يدرسون الهندسة والحساب والطبيعة في غير ضيق ولا حرج، بل يدرسونها في شغف ومحبة، إنما العيب على دروس اللغة العربية وحدها.

فلا عجب بعد ذلك إن لم ينتفعوا بهذه الدروس، لأن الانتفاع بالشيء على قدر المحبة له، والرغبة فيه

هذا شيء مخيف حقاً، له نتائج الخطيرة، فإما أن نعمل على تسهيل الانتفاع باللغة العربية وتيسيرها على الدارسين والمتعلمين وتزيين علومها في قلوبهم، وإما أن نتحمل أمام التاريخ والأجيال عواقب هذا التفریط والإهمال، لأن الشيء البغيض الملول لا يعمر طويلاً، ولا يمكن أن يكره الناس عليه دائماً

وهناك أمر آخر ينتج من الخيبة في تعليم اللغة العربية، يخشاه رجال الاجتماع أعظم الخشية، ويشفقون منه أشد الإشفاق، وهي بقاء الحال على ما هي عليه في مصر، من اصطناع لغة للخطاب، وأخرى للكتاب، بينها وبين جمهور الشعب بون شاسع، وعقاب سماب